

المدارس القرآنية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية - تديكت أنموذجاً -

أ.صلاح الدين وانس

جامعة تامنغست

ملخص :

انطلقت في مقالي من فكرة أن المدرسة القرآنية هي من أهم الوسائل والفضاءات لإصلاح الفرد وتهذيب نفسه وتزكية روحه وتنقيف عقله وإرشاد مجتمعه والحفاظ على ثوابته الأصيلة الدين اللغة الوطنية (الانتماء للوطن)، من الزوال والإندثار.

كما أنها مكان خصب لصياغة الشخصية المسلمة السوية لأن هدفها الأساسي هو تخريج فرد سوي لمجتمع منشود متوازن يتحلى بالأخلاق الفاضلة والقيم الحضارية النبيلة، كما أشرت إلى دورها في مجابهة ومقاومة الاستعمار الفرنسي من أجل تحطيم هذه القيم والقضاء عليها.

Résumé:

L'objet de la présente communication est l'ampleur de l'école coranique comme espace de rééducation voire un outil d'haute efficacité pour changer l'homme, purifier son âme et fructifier son esprit. L'enjeu pour ce « condensateur social » est de forger une société saine et de sauvegarder les constantes authentiques de la nation arabo-musulmane, à savoir, la religion, la langue, et le territoire (comme lieu d'appartenance).

L'école coranique apparait alors comme un lieu fertile pour bâtir une personnalité islamique, saine et équilibrée, garantissant la mise en place d'un individu positif, et d'une société idéale et prospère. Nous essayerons dans le sillage de notre argumentation de mettre en exergue le rôle central et efficace joué par ces « écoles de lumière » et de montrer comment ces écoles, en dépit de leurs faibles moyens logistiques et répartition géographique ont pu se dresser comme de véritables remparts à l'effet de repousser le plan macabre incarné par le colonialisme et de préserver ainsi les valeurs idéales de l'islam.

• مقدمة

تعد المدرسة القرآنية من أهم الوسائل الأساسية وأكبر الفضاءات لإصلاح الفرد، وتهذيب النفوس وتركيبها وتطهير الأرواح وتصفيها، وتنقيف العقول وإرشاد المجتمعات والحفاظ على ثوابتها الأصيلة من الزوال والإندثار وهي مكان خصب لصياغة الشخصية المسلمة السوية.

فهي تسعى دائما وأبدا لتخريج فرد سوي لمجتمع منشود متوازن يتحلى بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، وليس هذا فحسب فقد شكلت قديما في عهد الإستعمار الغاشم صمام الأمان والحصن الحصين لحماية الأمة والزود عن ثوابتها من التبديل والتغيير أو الإنسلاخ، وباعت كل المحاولات الإستعمارية الرامية إلى طمس معالم الشخصية الوطنية الجزائرية الأمازيغية ومحو كل مقومات الهوية العربية الإسلامية، بالفشل بفضل جهود القائمين على هذه المؤسسات الدينية الروحانية التربوية التنقيفية التعليمية التكوينية، فقد كانت مخبرا ومصنعا لصناعة الإنسان ومركزا للإشعاع الفكري ومنطلقا للبناء الحضاري.

فهل اقتصر على التعليم القرآني فحسب؟

وماهي أدوارها على مستوى الفرد والجماعة؟

وماهي أهدافها وأبعادها الاصلاحية والاجتماعية والثقافية في إقليم تديكلت عموما وعين صالح خصوصا ؟

وكيف ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية من الزوال والطمس والتغيير؟

المدارس القرآنية النشأة والتعريف:

بدخول الفاتحين إلى شمال افريقيا (المغرب) بقيادة عقبة بن نافع الفهري دخل الناس في دين الله أفواجا، وبما أن القرآن مصدر التشريع الأول ودستور المسلمين والمرجعية الروحية لهم، تهافت الناس وتسابقوا على تعلمه وليس هذا فحسب، بل وتربية الناشئة على حفظه والتنافس على تحصيله بل وغرس مبادئه وتعاليمه والتخلق بأدابه، حيث كان "الأولياء يسهرون على تعليم أطفالهم وإرسالهم إلى الكتّاب وتعليم المبادئ العامة للدين وحفظ القرآن..... ولم يكن تعلم القراءة والكتابة إلا تابعا لحفظ القرآن، كما أن تعليم بعض العلوم العلمية كالحساب كان يهدف أيضا إلى غرض ديني بالدرجة الأولى"¹، ويؤكد ابن خلدون على أن المجتمعات المسلمة تحرص على تعليم أطفالها القرآن منذ نعومة أظافرهم بل صار عادة من عاداتهم وإلفه وتوارثه عن الآباء والأجداد حيث يقول: "إعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعائر من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق لهم له إلى القلوب في رسوخ الإيمان، عقائد من آيات القرآن وبعض فنون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه بما يحصل من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات"²

هذا وقد بدأ التعليم القرآني في شكل حلقات حول أعمدة وسرايا المساجد، ولما زاد العدد وكثر الإقبال عليه تحوّل إلى قاعات صغيرة بجانب المسجد سميت فيما بعد بالكتّاب، وأنشئت الكتاتيب وانتشرت في كل بقعة

دخلها الإسلام حتى قال بعضهم "إنه لم يخل منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الأرياف"³، وبذلك انتشرت الكتاتيب في كل ربوع الوطن، واحتلّ هذا النوع من التعليم مكانة هامة في الجزائر "نظراً للدور الفعّال الذي قام به في التنشئة لأفراد المجتمع على حفظ القرآن الكريم حفاظاً على شخصيتهم القومية وخاصة إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر"⁴.

وقد كان يطلق على المكان الذي يعلّم فيه القرآن ويلقّن فيه مبادئ الدين للصبيان بـ "الكتّاب"، والكتّاب: تنطق بضم الكاف وتشديد التاء، وهو موضع تعليم الكاتب أي الكتابة وجمعها الكتاتيب⁵.

قال البستاني: الكتّاب جمع كاتب وموضوع التعليم وجمعه كتاتيب، والمكتب موضع تعليم، وجمعها مكاتب⁶.

ويقول أحمد أمين(كل من المكتب والكاتب إستعمل لتعليم الصبيان)⁷.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنه هناك نوعين من الكتّاب⁸:

أ- الكتّاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة وكان يقوم غالباً في منازل المعلمين.

ب- الكتّاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي وكان مكانه المسجد في الغالب وما لبث حتى أصبح المكان الرئيسي لتعليم القرآن بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى.

ومن خلال هذه التعاريف، ورغم التباين البسيط الذي بينها إلا أننا نلاحظ أنها تتفق على مفهوم الكتّاب أو المكتب نقصد به مكان تعليم الصبيان.

أما المدرسة القرآنية التي يعنى بها بحثنا: "هي عبارة عن مؤسسة دينية كانت تابعة لأشخاص أو أفراد، أما حالياً فهي تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وبالضبط الجهة المكلفة بالإرشاد الديني والتعليم القرآني"⁹ وهي تعمل على تحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادئ الدين الإسلامي الحنيف مع تعليم الكتابة والقراءة.

ويُستعمل لفظ المدرسة القرآنية في المدن غالباً، أما في الأرياف فهي مرادفة لكلمة شريعة¹⁰، وهي الخيمة التي تختص بهذا الدور عند البدو الرحل في البوادي "فقد كانت عشة الطالب، أي خيمة معلم القرآن معروفة لديهم، تلازم الرّحل منهم في الإقامة والطعن، والمعلم بينهم مبدّل محفوظ"¹¹ وعند بني ميزاب تدعى المسج، أما في زاوة تدعى المعمره، وفي منطقة توات وتيديكلت تدعى أفريش، وهي كلمة زناتية الأصل.

أقربيش: هي كما قال الشيخ: امحمد لمغربي "كلمة زناتية يقصد بها المدرسة القرآنية"¹² وهي منتشرة في منطقة عين صالح، حيث تدل على المراكز الدينية لتعليم الصبيان الآداب الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم وهي المعنية في بحثنا هذا.

المدارس القرآنية في عين صالح إبان الفترة الاستعمارية (1962/1900)

تقع مدينة عين صالح في قلب الصحراء على بعد 1270 كلم عن العاصمة الجزائرية وهي أكبر دوائر ولاية تامنغست التي تبعد عنها بـ700 كلم، "يحدّها شمالاً مدينة المنيعّة، وجنوباً مدينة عين أمقل (دائرة من دوائر تامنغست) وشرقاً إيدلس (مدينة من مدن تامنغست)، وبرج عمر إدريس (مدينة من مدن ولاية إيليزي) وغرباً تيط (بلدية من دائرة أولف التابعة لولاية أدرار)"¹³، تبلغ مساحتها حوالي 134218 كلم، أما عن مناخها فهو "حار صيفا بارد قارص شتاء، وتمتاز بالرياح والزوابع الرملية خاصة في شهري فيفري ومارس"¹⁴.

أصل التسمية : سميت تديكلت في العصور القديمة، وتدعى حالياً بعين صالح وكل منهما له معنيان¹⁵:

تديكلت: كلمة بربرية تدعى كف اليد نسبة إلى المنطقة السهلية التي تشبه راحة اليد، أما الجبال والمرتفعات بالحواف الجانبية لليد.

عين صالح: الروايات الشفهية هي الغالبة ومنها:

الرواية الأولى :ارتبطت بالإستعمار وذلك للفرقة والتميز لأن هذه التسمية (إين صالح) للدلالة على الأصل البربري للمنطقة.

الرواية الثانية:كانت المنطقة سابقا موطن إنتقاء القوافل والبعثات المتوجهة إلى البقاع المقدسة القادمة من تندوف وبشار.... إلخ، والحجيج القادمين من مالي والسنغال، وفي إحدى السنوات مرض شخص يدعى صالح، فلما منّ الله عليه بالشفاء حفر بئراً وسماها صالح وأصبحت تعرف بعين صالح .

الرواية الثالثة : إين صالح هي مكان الماء وتفسيرها: إين بمعنى مكان الماء، وصالح: نسبة إلى صاحب البئر .

السياسة الإستعمارية تجاه المدارس القرآنية في المنطقة (1962/1900):

لقد حارب المستعمر أثناء تواجده في المنطقة المراكز الدينية عامة والمدارس القرآنية خاصة، وفرض عليها مضايقات ومتابعات شبه يومية أو بصفة دورية أو فجائية أحيانا، وذلك من أجل متابعة المحتوى التدريسي لتلاميذ هذه المدارس ومنعاً لأي طارئ قد يتعارض مع السياسة الاستعمارية حيث بلغ عددها كما قال لويس فانطو في كتابه : "43مدرسة قرآنية أو كما سماها مدرسة الطلبة، 14مدرسة مختلطة بين البنات والذكور"¹⁶.

فمثلا مدرسة لمغربي في قصر العرب عين صالح كانت من بين المدارس المراقبة من طرف السلطات الفرنسية، وشهدت مضايقات بهدف طمس الهوية الإسلامية لأنها تثبت الدفاع الروحي والعقائدي للتلاميذ ومعلميهم في آن واحد، كما أن السلطات الفرنسية تلجأ دائماً إلى غلق هذه المدارس أو فرض غرامات مالية

عليها، وتعتبر هذه الضريبة عجزاً عند بعض معلمي هذه المدارس لأن المستوى المعيشي متواضع، وعدم دفعها يؤدي إلى غلق هذه المدارس (كما ذكره الشيخ الزاوي محمد رحمه الله)¹⁷.

ومدرسة طالب الزاوي كانت من بين المدارس القرآنية التي كانت مراقبة، وقد روى لنا¹⁸ الشيخ الزاوي رحمه الله أنه ذات يوم وهو يدرّس طلابه أنشودة تمجد العروبة، ومطلعها كالآتي:

إني تذكرت والذكرى مؤرقة***مجداً تليداً بأيدينا أضعنا

ويح العروبة كان الكون مسرحها***فاصبحت تتوارى في زواياها

هي العروبة لفظاً إن نطقت به***في الشرق والضاد والإسلام معناه.

فبينما هو يلقنها¹⁹ (يقراها والتلاميذ يرددونها معه) للتلاميذ فاذا بالضابط الفرنسي يدخل عليهم دون سابق إنذار، "فغيرها بمنظومة إين عاشر خوفاً من المتابعات الأمنية والتي قد تؤدي إلى غلق المدارس، وللعلم أن الشيخ الزاوي رحمه الله كان مكلفاً بجمع التبرعات للمجاهدين، وكذلك تحفيظ الأناشيد الوطنية لنبذ الاستعمار"²⁰.

كما أنه كانت هناك المدرسة الليلية تدرّس المذهب المالكي، وصاحبها الشيخ: أحمد بن مالك الذي قدم من أدرار، وكان يحضرها معلمي وتلاميذ المدارس القرآنية بالمنطقة، وذات يوم "دخل عليهم الفرنسيون وأحرقوا الكتب الموجودة بها، وسجنوا شيخها سنة 1958 (كما قال الطالب أحمد لمغربي)"²¹، أما الحضور فقد فروا من الأبواب والنوافذ، فأغلق المستعمر المدرسة على الفور، ولكن أعيد فتحها فيما بعد.

ومن بين المضايقات حذف باب الجهاد في الفقه المالكي حتى يضعف الوازع الديني لدى الأهالي ولا يشكلوا خطراً على الفرنسيين في المنطقة، وغُيِّب هذا الباب إلا ما كان يقوم به المعلمون خفية كما (أخبرنا الإمام حفاوي)²²

كما قام المستعمر بمصادرة أملاك المدارس التي وضعها أصحابها وقفاً وتقرباً لله عزوجل، "ليقطع الموارد المالية لهذه المدارس، ومن بين هذه المدارس مدرسة الشبلي التي كان الشيخ يجمع التبرعات للمجاهدين، ويخفي معطيها لا يفكها إلا هو"²³.

وقام المستعمر بطريقة أخرى وهي أنه كان يأتي إلى المدارس القرآنية ويأخذ منها التلاميذ ويرغمهم على الذهاب إلى المدارس النظامية التي فتحها لكي يبث فكره ويروّج لسياساته، غير أنها لقيت معارضة من سكان المنطقة جملة وتفصيلاً، "ورفض السكان إرسال أبناءهم إلى مدارس فرنسا العصرية واعتبروها مدارس غريبة عنهم وعن ثقافتهم"²⁴

أهم المدارس القرآنية إبان الإستعمار الفرنسي في عين صالح:

1- مدرسة طالب لمغربي: تعتبر من أهم وأقدم المدارس القرآنية في المنطقة حيث ساهمت في توعية المجتمع وتوجيهه، وكان الشيخ الطالب لمغربي "يدفع غرامة مالية عن التلاميذ الذين يدرّسهم دون أن يعلم آباءهم، من أجل تجنّب غلق مدرسته"²⁵، وكان برنامجها اليومي هو الدخول صباحاً حيث يحفظ التلاميذ

ألواحهم²⁶ ثم يمحوها (مسح ما فيها من كتابة)، ويعودون إلى بيوتهم في الضحى ويكتبونها بعد ذلك في المدرسة إملاءً مساءً من بعد الظهر إلى آذان العصر، ثم يقومون بتكرار²⁷ هذه الألواح وقراءة المتون²⁸، وبعد صلاة المغرب قراءة جماعية للقرآن الكريم تدعى (قراءة الليل)²⁹ بالإضافة إلى تفسير القرآن والفقهاء الإسلامي والعقيدة الصحيحة، وكان يتراوح عدد التلاميذ بين (50-60) تلميذاً، وتخرجت منها ثلاث دفعات (كما أخبرنا طالب مغربي).

الدفعة الأولى تخرج منها: التيطي، فراجي، فنوني.

الدفعة الثانية تخرج منها: الحاج أحميدة الغرمة وزملاؤه.

الدفعة الثالثة تخرج منها: طالب أحمد لمغربي وأخوه طالب دله رحمه الله نجلي صاحب المدرسة.

2- مدرسة طالب الزاوي: أسسها الشيخ محمد الزاوي (رحمه الله) بأمر من والدته سنة 1956، حيث فتحت أبوابها لأبناء الحي للتعليم القرآني ولتقديم دروس محو الأمية للكبار، وتطورت وأصبحت قبلة لطلاب العلم والمعرفة وكانت تدير بنفس برنامج المدرسة السابقة تقريباً، بالإضافة إلى أنه "كان مكلفاً بتحفيظ الأناشيد الوطنية للصبيان وجمع التبرعات على الأهالي للمجاهدين لكنه وجد مضايقات تجاه ذلك غير أنه تحمّل مشاق تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة، كما أنه امتن الخياطة"³⁰ نظراً لضعف الموارد وكبر المسؤوليات الاجتماعية.

3- مدرسة طالبيو: كان أحد تلاميذ الشيخ أحمد لمغربي، كان سبب فتحه بأمر من شيخه لمغربي في

حيه (التراقة)، فما كان منه إلا أن لبي أمره، ففتحت أبوابها سنة 1955 في منزل أبيه المتواضع.

بالإضافة إلى عدة مدارس بقصر العرب (كما أخبرنا الإمام حفاوي)³¹

1- مدرسة الحاج بلقاسم مداني: تأسست قبل الإستقلال 1962 بقصر العرب

2- مدرسة طالب باعزيز بحي الحذب من أحياء عين صالح.

3- مدرسة الطالب بابة: شيخاها طالب محمد بابة، والطالب أحميدة، بحي الضاية من الأحياء العريقة في عين صالح.

4- مدرسة سيدي بلقاسم، شيخها سيدهم، وبعده الطالب مولود يوسف، بحي الزاوية.

5- مدرسة حمادو: شيخها بوساليم حمادو رحمه الله، في وسط المدينة.

6- مدرسة الطالب بلميلود بحي البركة، مدرسة الطالب لامين بو عافية بحي طابق الكلب، مدرسة لمبجح بفقارة العرب.

7- المدرسة القرآنية التابعة لسيدي بلقاسم: (حدثنا عنها أحمد ناصر، مفتش التعليم القرآني بعين صالح) شيخها طالب عبد الله عبد الرحمان، وكان معروف بحرصه على التعليم القرآني، والإصلاح الاجتماعي، لا يتخلف عن المدرسة ولا يكلّ عن العطاء، وله ثلاث حصص يومية، الصباحية قبل طلوع الشمس والمسائية بعد صلاة العصر، والليلية ما بين المغرب والعشاء فيحضر بنفسه، إضافة إلى الإمامة في المسجد، كما أنه من أشد الناس محاربة للبدع والخرفات والسلوكات المخالفة للإسلام أو تشوه صورته.

-المدرسة القرآنية التابعة لمسجد أولاد الحاج: بحي قصر المرابطين والمشرف عليها سعيدو، والطالب عبد الرزاق

-المدرسة القرآنية في حي لحذب قصر المرابطين، و يشرف عليها الطالب عبد النبي، فكان حَقَاقًا للقرآن.

دور المدرسة القرآنية في صياغة الشخصية العربية السوية

أدت المدرسة القرآنية دوراً رائداً متميزاً في صياغة شخصية عربية إسلامية، وكان دورها الإصلاحية بارزا تربويا واجتماعيا وثقافيا وعقائديا، فقد كانت قديما إبان الإستعمار الفرنسي الغاشم ولا زالت تواجه سياسة المستعمر الفرنسي أو أي شكل من أشكال الإستعمار الفكري أو الفساد الأخلاقي أو الغزو الثقافي، الساعية إلى طمس معالم الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري فقد كانت حجرة عثرة أمام كل سياسة إدماجية أو تغريبية أو تنصيرية(عقدية) أوإنفصالية، بل كانت منطلقا ومحضنا للثورات التحررية الساعية إلى تحرير البلاد وتخليص العباد.

بل كانت نوعاً من أنواع المقاومة الشعبية ضد سياسة التجهيل والتعتيم والميز العنصري، فحاربت كل الجهل ونشرت الوعي وحب الوطن.

فكيف أدت هذه الأدوار بنجاح؟ وماهي الطرق التي حافظت بها على الهوية الوطنية وحماية التراث الوطني من الإنقسام والتجزأ؟.

أولاً : الدورها الإصلاحي

عملت المدرسة القرآنية على إنشاء جيل مشبع بالأخلاق الفاضلة الحسنة والقيم النبيلة، وكان المنتسب

إلى المدرسة يُنشئُ عليها منذ طفولته، وكان يتلقاها بالقبول عن طريق المتون والقصائد التي يجبر الطالب على حفظها وأدائها جماعة برتة موسيقية فمن بين القصائد :القصيدة الطويلة " هدية الالباب في جواهر الآداب " للشيخ حسين الأفندي الجسر الأندلسي³² ولامية ابن الوردى المسماة ب"نصيحة الإخوان ومرشد الخلان"³³ .

أما عن "هدية الألباب" فهي عبارة عن قصيدة طويلة متكونة من 146 بيت أبياتها الأولى كلها تتكلم عن الأخلاق بشكل مباشر وصريح بحيث يحضّ صاحب المتن ويشجع التلميذ الذي يتّصف بالأخلاق الحسنة ويلتزم بها، يقول صاحب القصيدة :

حمداً لمن قد زينَ الإنسانا *** بالعلم والآداب حيث كانا.

ثم صلاة الله والتسليم *** لمن هو المهذب الكريم.

وآله وصحبه ذوي الهى *** من بالكمال بلغوا هام السها³⁴.

ثم بعد هذه المقدمة وبعد ربطه بالقوة الحقيقية الرسول محمد صل الله عليه وسلم، يحاول أن يرسخ في ذهن الولد الصغير صورة ناصعة ورسالة إيجابية مفادها أنّ الولد المهذب المؤدب رمز سعادة للشعب والبلاد، ولكي تكتمل بناء معالم هذه الشخصية بيّن له أن التهذيب باب للخير وسمة تستوجب في المجتمعات الفاضلة كل اعزاز وتكريم، حيث يقول:

وبعد فالتهديب للأولاد *** سعادة للشعب والبلاد.
والولد المهذب المؤدب *** هم الذي للخير دوماً يكسب.
يستوجب الإعزاز والتكريماً *** ويستحق في الورى التعظيماً³⁵.

ثم بعد هذا الثناء على صاحب الأخلاق الفاضلة التي خلّدت ذكره ومدحت ماضيه، يحذره من نواقضها وألا يهدم ما بنى، بل ويشنع عليه بمواصفات تنفره من أي تصرف لا يمت للأخلاق بصلة، ويذكره بالعاقبة النكد والبؤس حيث يقول:

والولد الخالي من الآداب *** يعدّ في جماعة الدواب.
ولا يزال سيئ المعاشي *** يذكر في الناس مع الأوباش.
يعيش طول عمره في النكد *** بين خصام زوجة وولد³⁶.

ثانياً: دورها الاجتماعي:

يمكن أن نجمل الدور الاجتماعي في نقاط:

- القضاء على التفاوت الطبقي والميز العنصري.
- تنشئت الولد (الطفل) وإدماجه في المجتمع.
- فهي مكان للإلتقاء الدائم واليومي فيحصل بين المرتادين (التعارف والإخاء والتآلف والإندماج والإنسجام).
- تقوّي في الولد روح الجماعة والقضاء على الفردية والانانية (من خلال القراءة الجماعية للقرآن والقصائد والمنظومات).
- التواصل في الأعياد والمناسبات الدينية.
- فضاء خصب للتنافس العلمي، ويعدد صاحب هدية الألباب مواصفات وخصال طالب العلوم الناجح، الذي لا بد له من جد واجتهاد ومثابرة حيث يقول:

ثم على من يطلب الفضائل *** أن يهجر الفتور والتكاسلا
ويغتدي مجتهداً في درسه *** في كل يوم زائداً عن أمسه
ويلزم الصبر على التحصيل *** مع سهر في ليله الطويل³⁷.

دور المدرسة القرآنية في الحفاظ على الهوية الوطنية:

الهوية الوطنية هي مجموع السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمة أو مجتمع أو وطن معين عن غيره يعتز بها وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة.

عملت المدرسة القرآنية على ترسيخ المبادئ الوطنية (الاسلام، اللغة العربية، الوطن، المصير المشترك.....الخ) وتركي في نفس الفرد الروح الوطنية ومحاربة كل مامن شأنه طمس الهوية الوطنية، والتاريخ يؤكد ذلك رغم سياسات فرنسا الاستعمارية في الجزائر، إلا أنها لم تستطع القضاء على هوية المجتمع الجزائري فقد أدرك الشيوخ خطرهما وحاربوها بالعلم والسلاح فمعظم المقاومات الشعبية الجزائرية كان قادتها وزعمائها من أبنا أو المنتمين لهذه المدار القرآنية.

استطاعت المدرسة القرآنية أن تحافظ على الهوية الوطنية من خلال حفاظها على مقومات الهوية الوطنية، والشخصية العربية الإسلامية وهي: الإسلام، اللغة العربية، وحدة التراب الوطني، والمصير المشترك، وهذا ما يؤكد رايح تركي منوها بالدورها الفعّال الذي أدته هذه المراكز الدينية، في معرض حديثه عن أهمية التعليم القرآني أثناء الاحتلال، ويوضح ذلك في نقطتين³⁸:

-الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية مقابل ما كانت تسعى إليه السياسة الثقافية للإستعمار في الجزائر والقاضية بنشويه لسانه والتشكيك في عقيدته وزعزعة إيمانه وقتل ذاكرته حتى لا يجسّ بما يشعره بهويته ويربطه بحقيقة أمته.

-ركزت على اللغة العربية، الدين الإسلامي، التاريخ العربي الإسلامي للجزائر، جغرافية الجزائر والوطن العربي، وهي المواد التي تكوّن الشخصية الوطنية والقومية للشعب الجزائري.

أولاً: الإسلام

كان على عاتق المدرسة القرآنية الحفاظ على الإسلام من جانبيين (الوجود والعدم): من جانب وجوده ونشره بين الناس واعتناقه والتدين بمبادئه وأخلاقه، من خلال تحبيب وترغيب الناس في الإسلام، ومن جانب العدم (الحفاظ عليه من العدم والإندثار والزوال) بالزام معتقيه حفظ القرآن والمتون.

نستشف ذلك من خلال إلقاء نظرة على المناهج التي كانت تدرّس في المدرسة القرآنية منها على سبيل المثال لا الحصر:

القرآن:

تعليم القرآن الكريم وحفظه برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق.

الفقه:

1-المرحلة الإبتدائية: متن المرشد المعين على الضروري من علوم الدين " للعلامة أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الفاسي، ت1040هـ : يتناول أبواب الفقه المالكي وأقسامه (الطهارة، الصلاة، الصوم والزكاة) وفروعه.

2-المرحلة المتوسطة: المسائل: رسالة أبي زيد القيرواني لصاحبها الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني رحمه الله (ت.386هـ)، يشرح أبي الحسن المنوفي، والاستعانة بشرح الشيخ زروق، وغريب الرسالة لابن حمامة المغراوي.

3-المرحلة النهائية: مختصر الشيخ الإمام خليل بن إسحاق الجندي (ت.776هـ) وشروحه المختلفة:

-الشرح الكبير لمختصر سيدي خليل: للإمام أبي البركات أحمد بن محمد الدردير (ت.1201هـ).

-مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للعلامة أبي عبد الله محمد بن محمد العيني الشهير بالحطّاب (ت.954هـ).

-منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عlish (ت.1299هـ).

-حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للإمام الدردير للعلامة سيدي محمد عرفة الدسوقي (ت.1320هـ).

ثانيا: اللغة العربية

استطاعت المدرسة القراءانية الحفاظ العروبة لغة وانتماء من خلال تعلم اللغة العربية وفك رموزها والتحرر من الأمية والحفاظ عليها، وذلك ما أشار إليه الشيخ البشير الإبراهيمي عن تشبث الشعب الجزائري بها، ووحدته على الكفاح في سبيلها، مؤكداً على أن الحفاظ على اللغة هي مسألة مصير ووجود وتاريخ وبفقدتها تُفقد الثقافة والشخصية والوجود حيث يقول: "إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها، وأن لغتها جزء من كيانها السياسي والشرط في بقائها، وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة فلم يختلف لها فيه رأي ولم يفترق لها قصد، لقد أدرك قادة الاحتلال أنّ الأمة التي تفقد لغتها تفقد معها ثقافتها وشخصيتها ووجودها"³⁹، هذا وقد ارتفع عدد المتعلمين بشهادة أحد الجنرالات الفرنسيين (والسن استنهازي) الذي قال: "أن الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد-قبل الاحتلال- أكثر عدداً من الفرنسيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون"⁴⁰،

أ- تعلم اللغة العربية باستعمال الحواس من خلال القرآن الكريم

- التلقين (الفتوى)

- الإملاء (كتابة المسموع)

- الإعراب (تصحيح وتصويب من المصحف)

- الحفظ (الدرس والعرض)

ب-الحفاظ عليها من الضياع والنسيان

(تدريسها وتعلم)

- متن الاجرومية

- ملحة الإعراب

- ألفية بن مالك

ثالثا: حب الوطن والزود عنه والحفاظ على وحدة ترابه

استطاعت المدرسة القرآنية أن ترسخ حب الوطن والزود عنه والتضحية في سبيله من خلال المتون والقصائد التي كان يشب عليها الصبيان ويلزمون بحفظها وترديدها بشكل جماعي، بل ويتغنون بتتشيدها ويتنافسون في استظهارها، وقد جاء في متن هدية الألباب والتي تعتبر كنز من كنوز التربية والتعليم في المدرسة القرآنية، أربعة عشر بيتا يخث ويحض الطفل على محبة الوطن والغيرة عليه وأن "محبة الوطن من الإيمان"، وليس هذا فحسب وإنما بغضه وكرهه من أعظم الخسران، حيث يقول:

وكن محب الوطن المعظم *** ذا غيرة عليه للتقدم

فحبه عدّ من الايمان *** وبغضه من أعظم الخسران

وابذل لهذا الخلق المجهودا *** حتى يكون طبعك المحمودا⁴¹.

بل يحاول أن يربط نجاح الطفل في حياته وسر قوته وفلاحه في محبة الأوطان والزود عن حياضها، لا يكون إلا ببذل النفس والنفيس وبيع الغالي والرخيص، حيث يقول:
فلا ينال المرء من فلاح*** حتى ترى الاوطان في نجاح
ولا يكون حبها صحيحا** حتى ينال حقا الترحيحا
على حقوق النفس والاهلينا*** والصحب والمهيننا⁴².

ويقدم نماذج من الدول التي تطورت وازدهرت بسبب حبها لأوطانها والفناء في خدمتها، وتقديم النفع لأهلها، كأنه يزيد في الإثبات ويرسخ في المبادئ، ويجلي في الصورة حتى تصبح واضحة تاصعة لا غبار عليها، حيث يقول:

فما نجاح الأمم الغربية*** الا بهذي الخصلة السنية
وكل ذ منا حبهم للوطن*** وكسبهم لكل فن حسن⁴³.

خاتمة:

التعليم القرآني يمس بالخصوص عقل وشخصية الطفل ويعمل على توجيه فكره وإعداد شخصيته إعدادا جيدا ليكون عضوا صالحا في نفسه مصلحا لمجتمعه ويسموا بعقله وضميره وخلقه، وهنا تجدر بنا الإشارة إلى الدور الذي يؤديه التعليم القرآني في تربية الأطفال وذلك بتحفيظ القرآن الكريم وغرس مبادئ العقائد في أنفسهم والعادات الحسنة في تكوينهم الروحي والأخلاقي إلى جانب ذلك ينمي لدى الطفل الثروة اللغوية والثقافة العلمية الواسعة، ويرسخ فيه حب الوطن والزود عن حياضه، وتتجلى أهمية التعليم القرآني في.

1- الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الجزائرية الأصيلة المسلمة.

2- غرس مبادئ الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

3- الحفاظ على الهوية الوطنية من الزوال والإندثار أو التشكيك أو التمزيق.

مصادر ومراجع البحث:

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم

ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد بن أبو زيد (ت. 808هـ/1405م)

1- المقدمة، إعتاء ودراسة أحمد الزعبي، عين مليلة- الجزائر، دار الهدى، 2009.

ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت. 711هـ/1311م)

2- لسان العرب، ج15، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414هـ/1994م).

محمد البشير الإبراهيمي

3- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1929-1940م)، جمع وتقديم/ نحلته الدكتور: أحمد طالب

الإبراهيمي، ج1، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1997م.

حسين أفندي الجسر

4- هدية الألباب في جواهر الآداب، بيروت، لبنان، 1289هـ.

ثانياً: المراجع:

أبو القاسم سعد الله

1- تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

أحمد أمين

2- ظهر الإسلام ج4، الطبعة الخامسة، لبنان: بيروت دار الكتاب العربي، (1388هـ/1969م).

أحمد توفيق المدني

3- جغرافيا القطر الجزائري، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1962م، ص38.

رابح تركي:

4- التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982م.

سعيدان التومي:

5- سكان عين صالح والانتقال على النفس، دار هومة، الجزائر، ط2005.

عبد الله عبد الدايم

6- التربية عبر العصور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م.

ثالثاً: المجالات والمقالات

1- عبد القادر عثمانى: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية (مجلة محكمة نصف

سنوية) يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد الثاني، 1423 هـ/2002م

رابعاً: الأطروحات والرسائل الجامعية.

1- أحمد حفاوي، إبراهيم قدي: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً-مذكرة

لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، المدرسة العليا للأساتذة-قسم التاريخ والجغرافيا- تحت إشراف الأستاذ: كمال

عبد الله، (2009/2008)،

2- توخ محمد: المدارس القرآنية في عين صالح بين الماضي والحاضر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس،

قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2007/2006.

3- محمد بلخير: التنمية المحلية بولاية تمنراست، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، غير منشورة، قسم علم

الاجتماع، جامعة الجزائر، 2005/2004،

4- مريم رجب، سامي شوال: دور المدرسة القرآنية في إعداد الطفل لدخول مرحلة التعليم الأساسي، مذكرة

ليسانس علم اجتماع التربية، تحت إشراف الأستاذ: فاتح جيلي، جامعة تبسة، 2008/2007م.

التهميش

- 1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 1981م، ص315.
- 2 - ابن خلدون: المقدمة، ص300.
- 3 - رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982م، ص235.
- 4 - مريم رجب، سامي شوال: دور المدرسة القرآنية في إعداد الطفل لدخول مرحلة التعليم الأساسي، مذكرة ليسانس علم اجتماع التربية، تحت إشراف الأستاذ: فاتح جيلي، جامعة تبسة، 2007/2008م، ص12.
- 5 - ابن منظور: لسان العرب، مطبعة اوستاتوس، بدون تاريخ الطبع، ص128.
- 6 - ابن منظور: المصدر نفسه، ص128.
- 7 - أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة العاشرة، بدون تاريخ، ص50.
- 8 - عبد الله عبد الدائم: التربية عبر العصور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م، ص20.
- 9 - أحمد حفاوي، إبراهيم قدي: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً- مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، المدرسة العليا للأساتذة-قسم التاريخ والجغرافيا- تحت إشراف الأستاذ: كمال عبد الله، (2009/2008)، ص5.
- 10 - أنظر أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1830/1954)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1998م، ص37-38.
- 11 - عبد القادر عثمان: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية(مجلة محكمة نصف سنوية) يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، العدد الثاني، 1423 هـ/2002م، ص84.
- 12 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص5.
- 13 - سعيدان التومي: سكان عين صالح والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، ط2005، ص18.
- 14 - محمد بلخير: التنمية المحلية بولاية تمنراست، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004/2005، ص5.
- 15 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص7.
- 16 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص8.
- 17 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص9.
- 18 - أحمد حفاوي: المرجع نفسه، ص9.
- 19 - التلقين هو أسلوب من أساليب التعليم يتخذها المربون والمعلمون لتيسير العملية التعليمية ولتعوديد الصبيان النطق السليم.
- 20 - توخ توخ محمد: المدارس القرآنية في عين صالح بين الماضي والحاضر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2007، ص36.
- 21 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص9.
- 22 - شهادة شفوية.
- 23 - توخ توخ محمد: المدارس القرآنية في عين صالح بين الماضي والحاضر، ص36.
- 24 - أحمد توفيق المدني: جغرافيا القطر الجزائري، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1962م، ص38.
- 25 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجاً، ص10.

- 26 - قطعة خشبية مستطيلة الشكل طولها 70 وعرضها 30سم، وهي وسيلة يكتب عليها الأطفال القرآن بالسماع المشتق من الأشجار بعد سحقه وخلطه بالماء، و وسيلة الكتابة القلم المصنوع من نبات القصب.
- 27 - ترديدها وإعادة قراءتها بصوت عال مرات عديدة، أكثر من أربعين مرة، أو إلى أن تحفظ.
- 28 - منظومات شعرية للعلوم كالفقه (ابن عاشر)، وسجود السهو في الصلاة(العبري)، وأحكام التجويد(الجزرية)، الإعراب(الأجرومية)، والنحو والصرف(ألفية بن مالك)... الخ، التي يتلقاها التلاميذ في المدرسة القرآنية لكي يسهل حفظها يرددها الطلاب جماعة.
- 29 - سميت بذلك لأنها تقرأ بشكل جماعي ليلاً.
- 30 - تoux محمد: المدارس القرآنية في عين صالح بين الماضي والحاضر، ص 34.
- 31 - أحمد حفاوي، قدي إبراهيم: دور المدرسة القرآنية في التنشئة الاجتماعية-عين صالح نموذجا، ص ص 11-12.
- 32 - هو ابن الشيخ محمد الجسر المعروف "بأبي الأحوال" الذي ترك طرابلس هرباً من المصريين والتجأ إلى قبرص ثم إلى اسطمبول، واقترب فيها بالسيدة التي أنجبت حسيناً، وفي الفترة التي ولد فيها حسين توفي والده وهو في فلسطين فتشأ يتيماً. نشأ في رعاية عمه الذي سهر على تعليمه، أهم شيوخه "أحمد عبد الجليل، وصهره عبد القادر وعبد الرزاق الرافعيين والشيخ غرابي، سافر إلى الأزهر ومكث به أربع سنوات حينها تأثر بفكره الفلسفي، كان والده وعمه على الطريقة الخلواتية، وخلف عمه في رئاسة الطريقة سنة 1867م، وأنشأ المدرسة العصرية التي نالت مدح وثناء المصلحين من أمثال: مدحت باشا، وحدي باشا، وكانت المدرسة الأولى في طرابلس لتمييزها وجمعها بين العلوم الدينية والحديثة فعرفت إقبالاً، وكان من تلامذتها: رشيد رضا، وعبد القادر المغربي، عبد المجيد المغربي، وإسماعيل الحافظ، وفي 1909م وافته المنية مخلفا وراءه رصيذا هائلا من الكتب منها: "الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية" و"البدر التمام في مولد سيد الأنام"... الخ (أنظر: حسين أفندي الجسر: الرسالة المحمدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية، بيروت - لبنان)
- 33 - مطلعها: اعتزل ذكر الأعاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل.
- 34 - حسين أفندي الجسر: هدية الألباب في جواهر الآداب، بيروت، لبنان، 1289هـ، ص 1.
- 35 - حسين أفندي الجسر: المرجع نفسه، ص 1.
- 36 - حسين أفندي الجسر: المرجع نفسه، ص 1.
- 37 - حسين أفندي الجسر: هدية الألباب في جواهر الآداب، ص 3.
- 38 - رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص 245.
- 39 - رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص ص 326-327.
- 40 - رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ص 150.
- 41 - حسين أفندي الجسر: هدية الألباب في جواهر الآداب، ص 7.
- 42 - حسين أفندي الجسر: المرجع نفسه، ص 8.
- 43 - حسين أفندي الجسر: هدية الألباب في جواهر الآداب، ص 8.